دروس من الثورة الاسلامية في ايران

٣

محمد مهدي الآصفي

خط الامام

دار التعارف
بيروت - لبنان

خط الامام

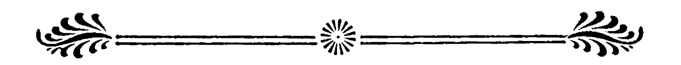
دروس من الثورة الإسلاميّة في إيران

٣

خط الإمام

محمّد مهدي الآصفي

دار التعارف
بيروت - لبنان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العٰلَمِينَ ،

الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، مٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ،

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ،

اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ ،

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ .

صدق الله العلي العظيم

القي هـذا البحث في مؤتمـر الكـوادر الاسـلامية العـراقية الـذي اقيم بـطهـران ، فنـدق الاستقـلال من قبـل المجلس الاعـلى للثـورة الاسلاميـة في العراق في شهـر ربيـع الاول من سنة ١٤٠٥ هـ . ق .

مُقَــدَّمَة عَن خَطِ الإمَـام

من اهم مكاسب الثورة الاسلامية ظهور خط سياسي اسلامي ، يعبر عن مواقفنا الاستراتيجية السياسية والجهادية ، ويرتبط بمواقعنا واصولنا الفكرية والايمانية ، وذلك هو خط الامام الخميني حفظه الله ، قائد الثورة الاسلامية الكبرى في عصرنا ومؤسس الجمهورية الاسلامية .

ولا شك ان ظهور خط الامام حدث سياسي هام ، يستحق دراسات واسعة وتحقيقية ، فلأول مرة في العصر الحاضر يكون لجهادنا السياسي ، خط سياسي محدد المعالم ، واضح الاتجاه .

وقد ظهر مصطلح « خط الامام » لأول مرة عند احتلال السفارة الامريكية ، من قبل الطلبة المسلمين ،

الذين سموا انفسهم بـ« الطلبة السائرين على خط الامام » ومنذ هذا التاريخ دخل هذا المصطلح في قاموس الثورة ، الّا ان مضمون خط الامام ، والمحتوى السياسي والفكري ، لهذا المصطلح كان موجودا في عمق الثورة ، قبل ذلك بزمان بعيد .

لقد جمعت الثورة في مسيرتها كل الغاضبين والناقمين على النظام الشاهنشاهي في بداية السير من اقصى اليمين الى اقصى اليسار وكان للنظام الملكي اعداء ومناوؤن سياسيون كثيرون ، جمعتهم الثورة الشعبية العارمة . وكل يمنّي نفسه ان يحتوي الثورة ، بعد ان تحقق هدفها ، وتسقط النظام الملكي العتيد .

ورغم انِ قيادة الثورة كانت خلال المسيرة للامام الخميني حفظه الله بلا منازع ، فقد كانت الثورة تستوعب كل الاطراف السياسية المعارضة للشاه ، على أمل ان تحقق الثورة سقوط النظام لتبدأ الجولة الثانية من الصراع السياسي الحاد ، لاستيعاب واحتواء الثورة .

فلما حققت الثورة هدفها وسقط النظام الملكي تحت اقدام الشعب الثائر وسحبت تماثيل الملك ، من الساحات والميادين بدأ صراع جديد ، حول القيادة الجديدة ، التي

تخلف النظام الملكي ، ودخل الحزب الشيوعي ، والاحزاب اليسارية الماركسية ، والاحزاب الوطنية ، والجماعات الاسلامية ـ الماركسية ، والاحزاب القومية في المعترك السياسي ، لاحتواء الثورة ، او تقسيم الميراث ، وأخذ الصراع شكلا حقيقيا ، ولولا هيمنة الشارع الاسلامي على الثورة وقوة ونفوذ قيادة الامام ، لكان الصراع يأخذ شكلا مخيفا .

وفي هذه المرحلة تمايزت الخطوط السياسية ، وتميز من بين هذه الخطوط « خط الامام » ، كخط سياسي واضح المعالم والاتجاه ، واجتذب هذا الخط ، دون سائر الخطوط ، جماهير الامة ، وعزل سائر الخطوط عن الساحة السياسية .

ولسوف نتناول ، في هذه المقدمة ، تاريخ ، وخصائص ومكاسب وضريبة وقيمة ، ومعالم ، ومصادر ، خط الامام بشكل موجز ان شاء الله تعالى .

* * *

لمحة تاريخية

في غفلة من اجهزة الرصد السياسي للاستكبار العالمي ـ الشرقي والغربي ـ كان ينمو في العالم الاسلامي وعي سياسي اسلامي اصيل ، وبصورة هادئة ، وهيّأ الله تعالى لهذا الوعي السياسي ان ينمو نموا سويا ، ويأخذ حظه من النضج . فقد تكوّن هذا الوعي على شكل صحوة سياسية ، في العالم الاسلامي في الطبقة المؤمنة المثقفة بصورة محدودة ، ثم تحول الى وعي سياسي وتوسعت مساحته ، وشملت مساحات كبيرة من الامة ، وتحول في جسم الامة الى حركة واعية باتجاه عودة الاسلام الى الحياة من جديد وتفاعلت هذه الحركة في جسم الامة وتحولت الى انتفاضة شاملة في ايران ، والعراق ، ومصر ، والاردن ، والسودان ، وباكستان ، واكثر الاقاليم الاسلامية .

وقد نجح الاستكبار العالمي في امتصاص هذه الانتفاضات الاسلامية والجماهيرية ، في بعض الاقطار بخبث وذكاء ، وفشل في اقطار اخرى ، فاستعمل العصا ، والعصا في حساب الحكام الورقة الاخيرة التي ليس وراءها ورقة اخرى .

وتحولت هذه الانتفاضة الى ثورة اسلامية هزت أمواجها العروش والتيجان والمعادلات السياسية في المنطقة ، واجتذبت اهتمام كل المسلمين وكل المحرومين ، واخذ الناس في العالم يتابعون اخبار الثورة الاسلامية باهتمام وحرص .

حتى شاء الله ان تفلح الثورة في اقامة اولى دولة اسلامية في العصر الحاضر .

واصبحت هذه الدولة المباركة موضع امل عامة المحرومين والمستضعفين من المسلمين وغيرهم ، واصبح هذا الكيان رغم حداثته يهدد كل الكيانات السياسية التقليدية القائمة على العمالة الشرقية والغربية او المزدوجة . وبدأ التفاعل الجماهيري، مع الثورة الاسلامية والدولة الاسلامية المباركة بتصاعد في العراق وفي الخليج والسعودية ولبنان ، بشكل غير اعتيادي ، مما حرك جرس

الانذار للحكام في المنطقة ولاسيادهم خارج المنطقة فتكالبت القوى الاستكبارية العالمية وفي مقدمتها ـ امريكا ثم فرنسا لمضايقة ومحاصرة هذه الثورة والدولة الاسلامية المباركة .

زرعوا امام الدولة المباركة عقبات ، والغام ، ومتاعب ، ومشاكل سياسية ، واقتصادية وعسكرية ، كان اخرها الحرب التي اثارها النظام العراقي ضد الجمهورية الاسلامية .

وكان على هذه الدولة المباركة ان تجتاح هذه العقبات واحدة بعد اخرى وتنتهي من عقبة اقتصادية لتتجاوز اخرى سياسية ، وتنتهي من عقبة سياسية ، لتبدأ باجتياز اخرى عسكرية ، وقد كان يتزامن في وجه الدولة المباركة اكثر من عقبة داخلية وخارجية في وقت واحد .

وتجاوزت الثورة والدولة المباركة هذه العقبات ، بحول الله تعالى ، وتأييده ، بتوفيق ونجاح منقطع النظير .

وخلال هذه التحولات ، والانقلابات ، والاحداث الكبرى الخطيرة ، والمواجهات الجادة السياسية والعسكرية والاقتصادية ، والابتلاءات الصعبة ، تنامى داخل الامة خط سياسي حركي وفكري وجهادي ، يشكل استراتيجيتنا

السياسية والجهادية ، وينبع من الاصول العميقة لتفكيرنا الاسلامي ، وذلك هو « خط الامام » .

وهذا الخط في اصوله التاريخية المعاصرة ، هو نفس الوعي السياسي الاسلامي ، الذي اجتاز هذه المراحل السياسية ، والجهادية ، خلال نصف قرن من الزمان تقريبا ، حتى تكاملت ابعاده ، وكمل نضجه ونموه ، وظهر على الساحة الاسلامية ، على شكل خط الامام ، من خلال السلوك السياسي والجهادي لقائد المسيرة الاسلامية الامام الخميني حفظه الله .

خَصَائِصْ
وَمَمَيِّزات خَطّ الإمَام

الغطاء السياسي والانساني لخط الامام

والخاصية الاولى ، في هذا الخط ، ان هذا الخط ليس خطا سياسيا ، وجهاديا نظريا ، تبلور من خلال تنظيرات علمية ودراسات سياسية اكاديمية ، وانما تبلورت ابعاد هذا الخط السياسية والجهادية من خلال ركام من جهاد وجهود العاملين واتعابهم ، وتحركهم ، وسهرهم ، ودمائهم ، ودموعهم ، ومتاعبهم خلال طريق ذات الشوكة ومن خلال عذابهم ، وسجونهم ، وهجرتهم ، وفرارهم ، وقرارهم ، خلال هذه الفترة المباركة من عمر المسلمين .

وهذه الجهود والمجاهدات هي غطاء لخط الامام ، وليس مجموعة نظريات ودراسات اكاديمية ، وهو غطاء مبارك يبعث على الاطمئنان والامن .

فان الانسان العامل ، عندما يضع خطاه على هذا الخط المبارك يعلم انه يضع خطاه على طريق شقّته امة كبيرة من المجاهدين والعاملين في سبيل الله من خلال تجاربهم وآلامهم وعذابهم ، وعملهم ، وتحركهم ، وجهادهم ، وما رزقهم الله من نور وبصيرة خلال هذه الحركة المباركة .

ولقد سدد الله تعالى الكثير من الاخطاء وقوّم الكثير من الزلات ، في حياة العاملين خلال هذه الجولة الربانية الكادحة .

وكان هذا الخط حصيلة هذه التجارب والابتلاءات .

* * *

وقد كانت الامة ، خلال هذه المسيرة الشاقة الشائكة وقود الحركة ، ومصب كل الآلام والمحن ، التي تجاوزتها الحركة والثورة الاسلامية ، في مراحلها المختلفة وقد دفعت هذه الامة الكبيرة ، ولا تزال تدفع ضريبة هذه الحركة الربانية في التاريخ ، وتحملت آلام الطريق ومتاعبه بصبر وجلد . . فمن الطبيعي اذن ان يكون هذا الوعي والخط السياسي الذي تبلور خلال هذه الفترة قد تبلور في عمق ضمير الامة ، ووجدانها وقناعتها ، وتفاعلت معها الامة

تفـاعلا كـاملا ، وتحـول الى قناعـة وايمـان ثـابت ، في عمق وجدان الامة .

فهـذا الخط ـ اذن ـ ليس خطا فكـريـا وسيـاسيـا طارئاً يفـرض على افكـار النـاس ، من خـلال اجهـزة الاعـلام ، وانما هو الخط الفكري ، والسياسي ، والجهـادي النابـع من تجربة الامة وقناعتها ، ومعانـاتها ، وتكـونت مفرداتـه ، من خلال حركة الامة ، وتضحيتها ومحنتها .

وهذا هو الغطاء الانساني لخط الامام .

وقد كان هذا الالتحام ، بـين الامة وخط الامـام ، من اهم اسباب وقوف الامة بحزم وثبـات ، لحمايـة خط الامام وحـراستـه من الانحـراف ، ومن انـدسـاس المنـافقـين والانتهازيين ، داخـل الخط ، بغية تحـريفه وتـوجيهه لخـدمة مصالحهم الشخصية والفئوية .

الابعاد الحضارية والتاريخية لخط الامام

ومن خصـائص هـذا الخط ، ان الجـذور الاولى لهـذا الخط يمتد الى رسالة الانبياء والائمة عليهم السلام ، فليس هـذا الخط خطا مبتـورا ، اجتث من فوق الارض ، مـا لـه

من قرار ، وانما هو في ابعاده التاريخية خط الانبياء والمجاهدين ، والدعاة الى الله تعالى والائمة عليهم السلام وهو بذلك خط عريق ، اصيل ، ذو اصول ثابتة ، والاحساس بهذه الحقيقة ، يعمّق صلة الناس العاطفية والعقلية بهذا الخط .

فالانسان ليس كائنا مبتورا عن اصوله وجذوره التاريخية وتراثه . وحيثما يشعر انه يتبع في حركته مواضع خطى سلفه من الانبياء ، والدعاة الى الله تعالى والمقيمين للصلاة ، والمجاهدين في سبيل الله . فلا شك ان صلته بالخط وعلاقته به تتأكد ، وتتصاعد درجة تفاعله الروحي والعقلي والعاطفي مع هذا الخط .

وهذا بالتأكيد من اهم عوامل بقاء الثورة الاسلامية واستمرارها على خط الامام ، رغم كل المعاكسات والعقبات التي واجهتها الثورة ، خلال هذه المسيرة الشاقة .

فقد انطلقت الثورة من المساجد ومن على منابر الاسلام ، ومجالس عزاء الحسين عليه السلام ، وتصاعد مد الثورة ، خلال ايام محرم ، حيث يجدد المسلمون ذكرى سيد الشهداء ابي عبد الله الحسين عليه السلام .

والذي يتتبع كلمات الامام حفظه الله ، خلال مسيرة الثورة ، وبعد قيام الدولة ، يجد ان الامام يولي اهتماما كبيرا يربط الثورة بثورة سيد الشهداء الحسين عليه السلام والمحافظة على اقامة ذكرى الامام الحسين في عاشوراء ، بالصيغة الشعبية التي الفها المؤمنون ، والاستفادة من منابر عاشوراء ومجالسها ومسيرتها ، في المحافظة على مكاسب الثورة ، مع المحافظة على الناحية المأساوية لذكرى عاشوراء ، والاستمرار في اقامة مجالس العزاء ، كل ذلك لتبقى عجلة الثورة مشدودة بابعادها التاريخية ، ولتربط مسيرتنا السياسية والجهادية بتلك المسيرة الربانية الكبرى .

النصاب الشرعي للولاية في خط الامام ....

ومن ميزات وخصائص هذا الخط « ولاية الفقيه » ، والتأكيد على ارتباط الحاكمية بالفقيه ، في عصر غيبة الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، وبذلك تتكامل حلقات سلسلة الحاكمية والولاية في حياة الانسان ، فان الله تعالى هو مصدر الحاكمية والولاية وقد اولى الله تعالى نبيه هذا الحق في حياة الناس : ﴿ **النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم** ﴾ ويتسلسل الحكم والولاية من ائمة المسلمين

عليهم السلام ، وفي عصر الغيبة تستقر هذه الولاية بصورة شرعية في الفقيه ، الذي يلي امور المسلمين ويتصدى لشؤونهم ، وبذلك تستقر الولاية على النصاب الشرعي لتتكامل حلقات هذه السلسلة .

الاصالة في خط الامام ....

ولم يتأثر هذا الخط ، خلال العبور من وسط التيارات الحضارية المعاصرة ، بشيء من مفاهيمها وافكارها ، وحافظ على اصالته ونقاءه من التلوث الفكري والحضاري والسلوكي رغم ان كلما كان في الجو الحضاري السائد ، كان يشجع ويدعو الى هذا التميع ، والانصهار في المفاهيم والافكار الغربية والشرقية .

وليس من شك ان الصلابة الفكرية لشخصية الامام كان من اهم عوامل هذه الاصالة ، ففي بداية قيام الدولة ، ويوم طرح الامام حفظه الله هذه الدولة للاستفتاء على الرأي العام ، خطب الامام لتوجيه الرأي العام ، وقال : « انني اعطي رأيي للجمهورية الاسلامية » ، من دون زيادة او نقيصة ، واوصد الباب بشجاعة ، دون كل المحاولات التي كانت تحاول دس الديمقراطية ، او

الشعبية ، او الاشتراكية ، او غير ذلك من المفاهيم والمصطلحات الدخيلة على جوهر هذه الدولة ومحتواها .

ثم تبنت الثورة ، من خلال توجيهات وخطابات الامام ورجال الثورة وشعارات وهتافات الامة شعار اللاشرقية واللاغربية .

وما ادراك ما قيمة هذا الشعار ، وعمقه ووزنه السياسي ؟

فلقد كانت ولا تزال الحكومات والانظمة في هذه المنطقة تدور حول فلك احدى القوتين العالميتين ، فاذا انفلت النظام من دائرة النفوذ السياسي لأميركا ، فلكي يرتمي في احضان النفوذ الشيوعي ، واذا تخلص نظام من فلك الشيوعية ، فلكي يتراوح بينهما ، او يلعب على الحبلين جميعا .

ولأول مرة تستطيع الثورة الاسلامية ان ترفع في وجه القوتين الكبريين شعار لا شرقية ولا غربية ، وتمارس العمل السياسي ، بموجب هذا الشعار ، وتتخلص من دوائر النفوذ الاجنبية بصورة حقيقية ، وسوف يكون الجيل القادم اكثر قدرة على تقييم هذه الخطوة الجبارة في الثورة

الاسلامية ، وتقييم هذا الركن الهام من اركان خط الامام .

ولقد كانت عوامل غريبة ـ استطاعت ان تدس نفسها ، لفترة ما في خط هذه الثورة ـ تحرص كل الحرص ، وتحاول ان تسرب هذه المفاهيم الغربية والشرقية ، بصورة او بأخرى ، في صلب الثورة ، وتحاول ان تبرر ذلك بمختلف التبريرات ، ولكن وعي الامام وصموده ، ووعي الامة وصمودها ، افشل كل هذه المحاولات ، واستطاع خط الامام ان يجتاز هذه المرحلة ، محافظا على نقاوته ، واصالته وصفائه الفكري ، الذي هو كل قيمته ، والثمن الحقيقي لدماء الشهداء .

❊ ❊ ❊

الحالة الاقتحامية لخط الامام

حالة التصدي للمعتدي ، والمبادرة ، والاقتحام ، من خصائص الثورة . والثورة اذا تخلت عن حالة التصدي والمبادرة ، واقتحام مراكز نفوذ القوى الاستكبارية لا تستطيع ان تواصل حياتها الثورية ، وستتولى القوى الاستكبارية دور المبادرة في ضربها وسحقها ، ولذلك لا بد

ان تكون الثورة حاسمة ، في مسألة التصدي للعدو ، وتتولى دائما دور المبادرة ، ويكون لها اقدام ، وشجاعة في الاقدام ، في هذا المجال . وتعتمد على الله تعالى في المبادرة والاقتحام .

ومن دون هذه الروحية الثورية ، لا تستطيع الثورة ، ان تؤدي دورها الثوري ، في المجتمع وفي التاريخ .

وقد كان خط الامام ، خلال هذه الفترة ، يمتاز بمثل هذه الشجاعة والجرأة ، في التصدي والاقدام ، واقتحام مراكز نفوذ الطاغوت ، وقوى الاستكبار العالمي ، وما يستلزم ذلك من رؤية واضحة ، في المسائل الثورية والحسم والشجاعة العملية ، وقبل ذلك كله الاتكال على الله تعالى .

وكان الامام قائد الثورة يتصف بهذه المواصفات ، ويعمل بهذه الروحية الثورية الاسلامية ، في مراحل الثورة وحتى بعد قيام الدولة .

وبهذا النفس استطاع الامام ان يواصل العمل في الثورة الاسلامية المباركة .

وقد كان في بعض مراحل العمل يشعر بعض كبار

المسؤولين الذين كانوا يتولون مناصب رئيسية في الدولة الاسلامية بالضعف والتردد ، والميل للركون الى العافية . . لولا مواقف الامام الصامدة .

واوضح مثل على ذلك اقتحام دار السفارة الامريكية ، فلولا الامام وموقفه الصامد القوي ، كاد بعض المسؤولين في الدولة الاسلامية في الحكومة الموقتة ان يخذلوا الشباب الطلبة ، السائرين على خط الامام في احتلال السفارة الامريكية والقاء القبض على الموظفين الجواسيس في السفارة الامريكية ، كرهائن لارجاع الشاه ، من اميركا الى ايران ، لمحاكمته واعدامه واسترجاع اموال المسلمين منه الى بيت المال .

وكانت الرؤية السياسية للمعارضين لهذا العمل الذي قام به الطلبة في طهران : ان الدولة الاسلامية وهي تعيش ايامها الاولى ، وادوار نشأتها الاولى لا ينبغي ان تتعرض للتحرش بقوة عالية ، كبرى مثل اميركا وتثيرها للكيد بها ، وتعلن الحرب معها ، وانما يجب على الثورة ان تتلافى الاصطدام بالقوى الكبرى جهد الامكان ، وتحاول ان تعيش بمنأى عن الصراعات السياسية والعسكرية ، ريثما تبني نفسها ، وتقف على قدميها .

وهذا هو التوجيه السياسي المقبول للموقف المتخاذل ، من بعض المسؤولين في الدولة الاسلامية من الذين وقفوا يومذاك موقفا سلبيا ، تجاه قضية رهائن السفارة الامريكية ، وبالنسبة للصادقين منهم في مواقفهم السياسية . .

ولقد كان موقف الامام ورأيه واضحا ، في دعم وتأييد الطلبة السائرين على خط الامام ، الذين احتلوا السفارة الامريكية : ان اميركا لا تكف عن عدوانها تجاه الجمهورية الاسلامية ، ولا تفكر في يوم من الايام ، تعيش مع الجمهورية الاسلامية بسلام ، وفي كل يوم تضع اميركا خطة جديدة لأسقاط النظام الاسلامي الحاكم في ايران ، وفي كل يوم تضع كيدا جديدا لتطويق هذه الدولة الاسلامية ، ومصادرة الثورة الاسلامية ، والسفارة الاميركية ليست الا وكرا نشطا عاملا للتجسس الاميركي في داخل الجمهورية الاسلامية ، وقد اثبتت الارقام والشواهد بعد ذلك هذه الحقيقة ، اذن فلم لا نكون نحن المبادرين بالاقتحام والاحتلال ، وتوجيه الضربة وفضح المؤامرات الاميركية ، وفضحها واسقاط هيبتها السياسية في المنطقة ، وكسر شوكتها . . .

وبهـذا المنطق ، كـان الامام يؤكـد الطلبـة في احتلالهم للسفارة الاميركية ، وبهذه الـروح تقدم مجمـوعة من الـطلبة المسلمـين ليـوجهـوا صفعـة الى الشيـطان الاكبـر دوخت اميركا ، واسقطت هيبتها في المنطقة .

الربانية والاخلاقية في خط الامام

ومن اركان هذا الخط وميـزاته وخصـائصه « الـربانيـة » والارتبـاط بالله سبحـانه وتعـالى ، ارتباطـا وثيقا قـائـما عـلى اسـاس العبـوديـة الحقيقيـة لله تعـالى ، والاخـلاص لـه ، والاتكـال عليه تعـالى ، في كل الحـالات ، وهـذا هـو قـوام الخط واسـاسه الاول ، ومن دونـه لا يبقى لهذا الخط شكـل ولا محتـوى . والتركيـز على هـذا الجـانب هـو المهمـة الاولى لكـل الانبيـاء والائمـة عليهم السـلام ، والـدعـاة الى الله تعالى ، فان الدعوة الى الله ، وتوحيده بالعبوديـة هي الحجر الاسـاس في رسالـة الانبياء ﴿ **ومن احسن قـولا ممن دعـا الى الله ، وعمل صالحا ، وقال انني من المسلمين** ﴾ .

[illegible] ليست حـركـة سيـاسيـة ، تستهـدف اسقـاط [illegible] الطاغوتية ، فقط ، وانما تتحـرك لتعبيد الانسـان لله [illegible] بعد اسقاط الطاغـوت . وربط [illegible] بالله عز وجـل ،

وتخليصه لعبودية الله سبحانه .

وقد رافقت الثورة الاسلامية منذ ايامها الاولى بتوجيه وتأكيد من الامام مباشرة ، موجه من التربية الربانية ، والدعوة الى الله والتوجيه اليه عز وجل ، بالدعاء ، والصلاة ، والتضرع ، وتبني دراسة القرآن .

والذي يتتبع مكاسب الثورة الاسلامية يتملكه الاعجاب ، بما حققته الثورة ، خلال هذه الفترة القصيرة ، من توجيه الشباب الى الله تعالى ، ولربما نستطيع ان نعتبر مجالس « دعاء كميل » في ليالي الجمعة واجتماعات صلاة الجمعة ايام الجمعة من اعظم مكاسب الثورة ، وهذه المجالس العامرة ، بالدعاء والتضرع هي المدارس التي تبني الجيل ، لمواجهة التحدي الاميركي والروسي بعزم وثبات واطمئنان . . بالاضافة الى البناء الروحي الذي يتلقاه شبابنا على جبهات القتال ، العامرة بالدعاء والصلاة ، والتضرع ، والبكاء ، بين يدي الله تعالى ، اناء الليل ، واطراف النهار ، والذي يعيد الى ذاكرتنا معارك المسلمين الاولى في بدر واحد وحنين .

* * *

والصفة الاخلاقية والتربوية في الثورة هي الميزة

الاخرى المرتبطة بالربانية ، فان الثورة تمتاز بالاخلاقية ، واعداد الجيل الصاعد لتربية اخلاقية شديدة ، في مكافحة الهوى ، وتهذيب النفس ، وبنائها على اساس من التقوى ، والالتزام الدقيق بحدود الله تعالى .

والذي يتتبع كلمات الامام يجد حرصا بالغاً واهتماما كبيرا ، بخصوص مسألة تهذيب النفس ومخالفة الهوى .

ولا شك ان هذه المسألة تأتي بعد « الربانية » مباشرة في سلم اهتمامات الانبياء عليهم السلام ورسالتهم .

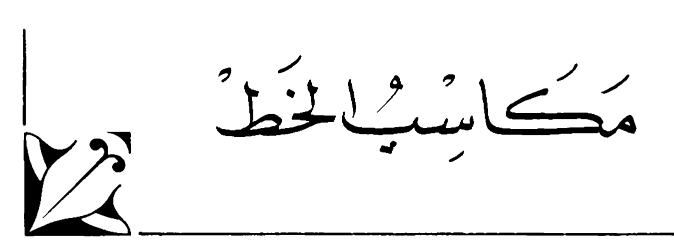
تبني قضايا المستضعفين والمحرومين في الارض

ومن خصائص خط الامام ، التبني المستمر لقضايا المستضعفين في العالم الاسلامي بشكل جاد ، والدفاع عن مواقعهم وقضاياهم ، بكل الوسائل الممكنة . فان مهمة هذه الثورة تحرير الانسان على وجه الارض . وحيث يتواجد انسان مستضعف او محروم ، يعيش تحت امر الجاهلية واثقالها ، فان على الثورة ان تتولى قضيتها ، وان تجعل هذه القضية في صلب اهتمامها ، ولذلك نجد ان الثورة اعلنت عن مواقفها السياسية تجاه قضايا المستضعفين والمحرومين ، وقضايا العدوان على العالم الاسلامي وعلى

المستضعفين من اول يوم ، بوضوح كاف .

فتبنت القضيـة الفلسطينيـة ، بحماس منقـطع النظير ، وتبنت القضيـة العـراقيـة ، والقضيـة الافغـانيـة ، وقضيـة المجاهدين في مصر ، وقضية الصحراء المغربيـة ، والمسلمين في الفلبين ، والحرب اللبنانية ـ الاسرائيلية ، وغير ذلك من قضايا العدوان على العالم الاسلامي ، وشؤون المستضعفين والمحرومين . واذا تخلت الثورة ، لا سمح الله ، في يوم من الايام ، عن مسؤوليتها تجاه قضايا العدوان على العالم الاسلامي وشؤون المحرومين ، فانها تتخلى عن مهمتها ورسالتها السياسية والجهادية الاولى وعن مبرر وجودها .

تلك بـاختصـار اهم مـلامـح ، واركـان ، وخصـائص خط الامـام ، وللبحث عن مفردات هـذا الخط مجـال آخـر وحديث آخر نرجو ان يوفقنا الله تعالى له .


مكاسب الخط

الوعي الجماهيري

قيمة هذا الخط - كما ذكرنا - ليس فقط في محتواه الفكري والسياسي والجهادي ، وانما في انبثاقه عن عمق الوجدان الشعبي ، ومن داخل آلام الامة ، وآمالها ، وعذابها ، وتضحياتها ، وطموحاتها ، وحضارتها ، ورسالتها .

ولهذا السبب ، بالذات ، فقد تبنى جمهور الشارع الاسلامي خط الامام ، بوعي ، وبصيرة ، وبكامل ابعاده الفكرية ، والسياسية ، والجهادية ، ونزل الخط وما يستتبعه من وعي ورؤ ية سياسية الى الشارع .

والوعي السياسي ، في الغالب ، يخص طبقة ممتازة في

المجتمع هي « النخبة الواعية » ، ويبقى لـه تأثيره وتحريكه في داخل الامة ، ذلك بفعل « النخبة » . فاذا انتقل الوعي من هذه الطبقة الى الشارع ، ونزل « الوعي والخط السياسي » الى الشارع بكل ابعاده وحدوده ، من غير عوج ، ولا انحراف . . . تحول الخط والوعي الى قوة محركة هائلة ، وقدرة سياسية كبيرة . وقلما يكون ذلك .

والذي حدث في الثورة الاسلامية المباركة ، ان هذا الوعي السياسي نزل ضمن خط الامام الى مستوى الجمهور ، وتبنت الامة خط الامام بوعي وبصيرة وبكامل ابعاده . وبكل اصالته . فأصبح ابن الشارع يفهم شعار « لا شرقية ولا غربية » فهما سياسيا واضحا ، ويعرف عن خبرة وبصيرة ، خطر وضرر الارتماء في احضان الشرق والغرب ويدرك قيمة الاستقلال الفكري والسياسي ، « ودور الجهاد والتضحية في تحرير الامة » ، وقيمة « التصدي للطاغوت » ، ومعنى « **ولاية الفقيه** » .

وهذه المعرفة الواعية ، والرؤ ية الصافية لمسألة الخط كانت لها آثارا ايجابية كبيرة ، في نجاح الثورة وتقدمها ، وفشل المحاولات المعادية للثورة .

فقد تبنت الامة الدفاع عن الثورة التي آمن بها

وبخطها ، وتحملت ضريبة هذا الدفاع بصدق ، ولم ينسحب من موقع تقدمت اليه ، مهما كانت الضريبة ثقيلة ، ودفعت ضريبة الخط براحة وانشراح ورضاء وشمل هذا المستوى العالي من الوعي كل طبقات الامة .

وما اكثر ما تجد في خضم الثورة امّا قروية ، تعيش في الريف ، تستقبل جنازة ابنها الشهيد بتغريدة الامهات اللاتي يزففن ابنائهن الى خدر اعراسهم ، وتدخل جنازة ابنها بيديها الى داخل قبره وتطبع على خده قبلة الوداع ، بكل سرور ورضى ، وكأنها تودعه الى رحلة قريبة او سفر يسير ، ثم تقدم الحلوى على قبر ابنها ، وتعد نفسها لاستقبال التهاني ، كما يتقبلن الامهات التهاني عندما يقدمن اولادهن الى اعراسهم ، ويستنكرون ، بصدق وجدّ ، من يقدم اليهن العزاء .

ان الامة المسلمة هنا تعمل كل ذلك براحة ورضى وانشراح ولا تحسب انها عملت شيئا .

وليس هذا العمل الجبار ينبثق عن عاطفة تجاه الثورة ، فلقد رأينا العواطف وتأثيرها ودورها كثيرا ، وليس بمقدور العاطفة ان تصنع مثل هذه المعجزات في حياة الانسان . . وانما هو وعي ، وبصيرة ، وثقة ،

وايمـان ، ووضـوح مـا بعـده وعي ووضـوح استقـر في قلب هـذه المـرأة البسيـطة السـاذجـة ، وجعـل منهـا اسـطورة في التضحية ومعجزة في الشجاعة ونسيان الذات .

وكــذلـك يفعــل الايمـان عنــدمـا يستقــر في القلوب الواعية .

* * * * *

هذا الوعي للخط ، وعلى مستوى الشـارع والريف هـو ـ بـالتـأكيـد ـ من اهم اسبـاب وقـوف الامـة الى جـانب الثورة ، وحمايتها للثورة ودفاعها عنها .

فلم يقف اندفاع الامة ، ولم يبرد حمـاسها في التضحيـة والجهاد والعمـل عنـد سقـوط الشـاه ، وانمـا استمـر هـذا الحماس والاندفاع ، وتصاعد في خط صاعـد ما بعـد الثورة واجتاز بدرجـات عاليـة من القوة والفـاعلية كـل العقبات ، واحدة تلو الاخرى .

وهنـا تبرز قيمـة (الخط) في الثـورة ، فـان الكثـير من الثـورات الشعبيـة التي ادت مهمتهـا في اسقـاط النـظام آل امرها الى الضعف والبرود والانحراف والتمتع .

ولـيس لنـا مـثـل اوضـح من الـثـورة الفـرنـسيـة

(١٧٨٩ م) . فقد كانت هذه الثورة ثورة نابعة من عمق وجدان الشعب حقيقة ، ولكن هذه الثورة سرعان ما آل امرها الى الانحراف ، وحلت دكتاتورية جديدة ، محل الدكتاتورية السابقة ، وطبقة منتفعة محل الطبقة المنعمة سابقا ، وتولى بونابرت الحكم في فرنسا بأطماع توسعية عسكرية ، وافسد في الارض ، واوغل في الفساد والسبب في ذلك ـ في بعض الحدود ـ ان هذه الثورات لا يرافقها خط سياسي سليم ، يستوعب الشعب ويملكه ، وانما يمتلك الشعب في الاندفاع لأسقاط النظام والتضحية عاطفة ثورية وشعور بالحرمان والظلم من دون وعي وخط سياسي مفهوم ومقبول ، من قبل ابن الشارع .

وامد هذه العاطفة ومفعولها محدود بسقوط النظام ، فاذا سقط النظام الحاكم خمد الحماس وامتص سقوط النظام كل النقمة والعاطفة ، وانعزلت الثورة عن الشعب والشعب عن الثورة ، فيسهل عند ذلك على المنتفعين ، وهم كثيرون تحريف الثورة الى خدمة مصالحهم واطماعهم .

اما الثورة الاسلامية فكان لها شأن آخر ، وهذا الشأن هو من نتائج وآثار وجود (خط الامام) داخل الثورة وفي

وجدان الامة ووعيها .

فلم تكن عاطفة ناقمة وغاضبة هي التي اهاجت الناس في ايران وانزلتهم الى الشارع ، وحركتهم باتجاه اسقاط النظام ، وانما كان وعي سياسي اسلامي سليم ، ورؤ ية سياسية وخط سياسي تصدر عنه العاطفة وهذا الوعي والخط هو الذي حفظ الناس في جانب الثورة ، وابقاهم في خط الدفاع الاول للثورة منذ انفجار الثورة الى اليوم ، والى ان يستقر حكم الله على وجه الارض كافة بقيادة الامام المهدي عجل الله فرجه ان شاء الله .

فقد كانت الامة تشعر من خلال ايمانها بالخط : ان لها قضية ، وقضيتها لم تنته باسقاط النظام ، وبقي ابن الشارع يشعر بعمق مسؤ وليته ، في حماية الثورة من كل دعاة التحريف واصحاب المطامع السياسية والانتهازيين طيلة هذه الفترة ، وكان هذا الشعور الواعي والصادق يتطلب منه الحضور الدائم والواعي في الساحة السياسية والمراقبة الواعية بعينين نافذتين لكل ما يجري في الساحة .

احباط المؤامرات وفرز الخطوط

وهذا الحضور والمراقبة الواعية كان من اهم الاسباب

في فشل المؤامرات الداخلية والخارجية ، التي كان يحيكها اعداء الثورة الاسلامية ، لتطويقها ومصادرتها واسقاطها .

وكان من اهم الاسباب في فرز الخطوط ـ اذا كان هناك خط سياسي آخر ـ وعزل الخطوط الاخرى ، واصحاب المطامع ، والانتهازيين عن صلب الثورة ، وحصرهم في الزاوية ، ثم اسقاطهم ، باذن الله .

ورغم ان اميركا قد حاولت المستحيل في الكيد بالثورة ، وخططت لمؤامرات ذكية ، واستعملت في ذلك كل قدرتها ، ونفوذها وسلطانها المالي والسياسي والعسكري ، ولم تأل جهدا في ذلك . . . الا ان الحضور الواعي للامة ، في الساحة السياسية ، والمراقبة الواعية للامة احبطت كل هذه المحاولات وافشلتها .

ولا شك ان هذا الحضور الواعي والمراقبة الواعية في الساحة حصيلة ايمان الامة ، وتبنيها العميق لخط الامام والتحامها به .

الخط والموقف

والخط هو الذي يصنع الموقف ، وكذلك حدث في الثورة الاسلامية . فقد كان وضوح الخط ، والتزام

الخط ، من قبل جماهير المؤمنين ، مصدرا لكثير من المواقف السياسية الصلبة .

فلكل ثورة ، ولكل حركة شعاراتها ، ولكن عندما تقترن الثورة والحركة بخط ثوري ، حركي ، واضح ، مفهوم وملتزم من قبل الامة ، تتحول هذه الشعارات الى مواقف .

ولقد حدث مثل هذا في الثورة الاسلامية ، فارتفعت خلال الثورة مجموعة من الشعارات الثورية والجهادية ، وتحولت خلال الثورة هذه الشعارات ، بفضل ايمان الامة والتزامها بخط الامام ، الى مواقف سياسية وجهادية رائعة وبطولية .

نذكر منها الموقف من الدعاة الى التسامح السياسي مع الدول الاستكبارية ، والتنازل عن المواقف السياسية المبدأية .

وقد رفعت الامة ، امام الدعوة الى هذه التنازلات ، في مسيرة تشييع الشهيد الدكتور بهشتي : (**نقاتل ونموت ، ولا نتنازل**) . ورفعت الامة تجاه الدعوة الى السلام مع النظام العراقي وايقاف الحرب (**حربا ،حربا، حتى النصر**) . . ومن عجب ان الامة وقفت عند شعاراتها وقفة

صامدة ، وحولت هذه الشعارات الى مواقف سياسية صلبة ، ووقفت عند هذه المواقف ، ودفعت ضريبة الموقف ، وليس من شك ان قيمة العمل السياسي بالموقف ، وليس بالشعار ، وما لم يتحول الشعار الى موقف لا تستطيع الثورة ان تحقق اهدافها .

ووجود خط سياسي سليم وواضح ، والتزام هذا الخط من قبل الامة ، من اقوى العوامل في صناعة المواقف السياسية .

خَط الإمَـام
وَالإنـتهَازِيَة السِّـيَاسِيَّة

ولا بـد لنـا في هـذه العجـالـة ، ان نشـير الى مقـارنـة سياسية بين خط الامام والخـطوط السياسيـة الاخرى ، التي كـانت تنافس خط الامـام على قيـادة السـاحـة واستيعابهـا ، ـ ان صحت تسميتهـا بالخـطوط ـ ولا نـريـد بهـذه المقـارنـة الناحية الفكرية ، والمحتوى الفكري ، وانمـا نريـد بالمقـارنة المـوقف السيـاسي المبـدئي فقط ، بغض النـظر عن محتـوى هذه المواقف والمبادىء .

فنقـول من الصعب ان نصحـح تـسميـة الخـطوط السيـاسيـة ـ اليمينيـة واليسـاريـة ـ المنـافسـة لخط الامـام ، بخطوط سياسية تملك مواقف مبدأية محددة .

فقد كانت هـذه الخطوط ، في الغـالب ، تشكل اتجـاها انتهازيا مقنّعا بقناع سياسي ومبدئي ، ومتبنى من قبـل افراد

وجهات تملكهم مطامع سياسية اكثر من اي شيء اخر .

ولربما نستطيع ان نقول : ان اوضح واقوى هذه الخطوط الحزب الشيوعي الايراني (تودة) ، الذي كان يملك تاريخا طويلا في العمل السياسي، وحاول الحزب الشيوعي ان يكيف نفسه مع خط الامام ، في شطر من عمر الثورة ، ولا شك ان الحزب الشيوعي وجد حرجا كبيرا في هذه المحاولة ، فقد كان الحزب ينادي قبل ذلك بان الدين افيون الشعوب ، ويرفع هذا الشعار بوجه الدين ، ومن الصعب مع ذلك ان يكيف نفسه اليوم مع خط سياسي اسلامي قائم على اساس الدين ، ويعترف بالقيادة الدينية الاسلامية في الساحة السياسية ، والحزب الشيوعي ، من الناحية الايدولوجية ، يقوم على اساس الحادي ، رافض لفكرة الايمان بالله . ومن الصعب ، مع هذا التصور ، ان ينسجم الحزب مع خط سياسي يعتمد الايمان بالله تعالى مبدأ واساسا لكل عمل وحركة ، وكان بين الحزب الشيوعي والاوساط الاسلامية صراع وخلاف فكري قديم ، وحواجز نفسية وفكرية واجتماعية ، ومن الصعب مع ذلك اجتياز هذه الحواجز ، وتناسي الخلافات والانسجام السياسي مع خط تتبناه القيادة الاسلامية .
ومع ذلك فقد وجد الحزب الشيوعي الايراني نفسه بين

خيارين : اما العزلة الكاملة عن الساحة السياسية وعن الامة ، واما الانسجام مع خط الامام ، فآثر الحزب الخيار الثاني .

ولكن هل كان الحزب الشيوعي مبدئيا في هذا الموقف ؟ بالتأكيد لا ، كما لم يكن الحزب مبدئيا في مواقفه السياسية السابقة ، فقد وقع كبار الشيوعيين الماركسيين في احضان النظام الملكي ، عندما طال بهم الامد ، كما حدث ذلك في العراق ، وتناسى الحزب مواقفه المبدأية ضد النظام الملكي .

والذي حدث في الثورة الاسلامية ان الحزب الشيوعي تخلف عن الشعار والمواقف الذي التزم به الحزب تجاه خط الامام . فكان الحزب يعلن الانسجام مع خط (لا شرقية ولا غربية) ، وفي الخفاء يقيم اقوى العلاقات التجسسية واحطها مع الاتحاد السوفيتي ، ويتجسس على مرافق واعمال الجمهورية الاسلامية لصالح الاتحاد السوفيتي ، كما اعترف بذلك اقطاب الحزب الشيوعي ، الذين « القي عليهم القبض بالجرم المشهود » .

اذن لم يكن الحزب الشيوعي يملك مواقف مبدئية سياسية في دور النظام الملكي ، وبعد ذلك في عهد الثورة

والدولة الاسلامية ، وانما كان الحزب يتخذ من خط الامام قناعا سياسيا ، يعطي به مآربه ومطامغه الحقيقية ، للوصول الى الحكم .

وما يقال عن الحزب الشيوعي ، يقال عن كثير من الاحزاب والخطوط اليمينية ، واليسارية ، والقومية ، والوطنية ، والاسلامية ـ الماركسية الاخرى .

فقد كانت هذه الخطوط في الغالب تمثل نحوا من الوصولية والانتهازية السياسية ، ولذلك سرعان ما كشف خط الامام ، والمبدئية السياسية الصارمة في خط الامام الاوراق السياسية لهذه الخطوط غالبا وعزلها عن الساحة والجمهور .

ومن عجب ان خط الامام لم يتزحزح عن مواقعه ومواضعه السياسية قبل الحكم وبعد الحكم ، والذي يتتبع المواقف السياسية ، لخط الامام بعد الحكم ، لا يجد تغييرا في مواقع ومواقف خط الامام طوال هذه الفترة .

ومن الملحوظ ان الخطوط الثورية تتخلى عن كثير من مواقفها السياسية بعد الوصول الى الحكم . فيتحوّل النظام الثوري ، بعد الوصول الى الحكم الى ثورة ودولة ، ولكل منهما مصالحه وحدوده ، فاذا كانت الثورة لها متطلبات

سياسية مبدئية صارمة ، فان للدولة ايضا حاجاتها ومتطلباتها ايضا ، وهي من نوع آخر تتطلب لينا وتكيفاً وانسجاماً مع الواقع تتطلبها مصالح الدولة .

ان الذي حصل في الغالب ، في الانظمة الثورية الحاكمة ، شيء يشبه هذا الامر . ونحن لا نشك في ان للدولة مصالحها ومتطلباتها ، التي قد تختلف نوعا ما عن مصالح الثورة ومتطلباتها ، ولكننا نعتقد ان هذه القاعدة اتخذت من قبل كثير من الانظمة الثورية واليسارية جسرا للانتهازية السياسية ، ومن حقنا ان نضع علامة الاستفهام ، امام كثير من التصرفات السياسية للاحزاب والفئات والدول الثورية واليسارية ، كالاتحاد السوفيتي والصين ، ولا نستثني بعض المنظمات الفلسطينية ، التي انسجمت مع قرارات مؤتمر فاس وتخلت عن مواقعها السياسية .

ان الميزة البارزة لخط الامام الثبات السياسي ، الصامد على مواقفه المبدئية ، تجاه كل القضايا السياسية ، فلم يحدث مثلا تغيير في موقف الثورة بعد الحكم تجاه القضية الفلسطينية ، او تجاه رفض الانتماء الى الشرق او الغرب .

وهـذه من خصائص خط الامـام البارزة ، واذا وضعنـا هذه الخصيصة السيـاسية ، بـازاء المواقف الانتهـازية لكثـير من الاحـزاب والفئـات والـدول الثـوريـة ، نعـرف عمق مبدئية خط الامام ، والسائرين على هديه .

تصــدِيرُ الخَط

مسألة التصدير ، بالنسبة الى الثورة وخط الامام مسألة اساسية ومصيرية ، فان حياة الثورة بنموها ونموها بتصديرها ، واذا توقف تصدير الثورة توقف نموها ، وتوقف النمو بالنسبة الى الثورة يعني الموت .

فأذن التصدير للثورة : بحكم التنفس للكائن الحي ، اذا انقطع عنه مات .

وليس معنى تصدير الثورة الغزو والاحتلال العسكري كما يقول اعداء الثورة ، وانما نعني بتصدير الثورة تصدير خطها ، وتبليغ خط الامام وتوعية المسلمين المستضعفين والمحرومين بهذا الخط .

ومهمتنا الاساسية في هذا المجال ، في العالم الاسلامي

هـو ايجاد وعي سياسي لخط الامـام ، في العـالم الاسـلامي وبين صفوف المحرومين .

ان الثـورة لا تقف في مكانها ، فـأما ان تتقـدم وتـأخـذ بالنمو ، او تتضاءل وتأخذ بالذبول .

فنحن اذن لا خيـار لنا تجـاه تصدير خط الامام ، فـان التقـاعس عن تصـديـر خط الامـام ، يعتبـر تقـاعسـا في مسؤ وليتنا تجاه الثورة بين يدي الله تعالى .

ان عشـرات الالاف من الشهداء والجـرحى والاسـرى والمعوقين والثكالى ادّوا بصدق واخـلاص ، مسؤ وليتهم تجاه هـذه الثورة ، واحسنـوا الاداء ، وصدقـوا مـا عـاهـدوا الله عليه ، والقوا علينا مسؤ ولية بلاغ هذه الرسالة .

وليس هنـالـك من حـدود اقليميـة ، او قـوميـة للوعي والخط ، واذا كـانت الدولـة تتحدد ضمن حـدود جغـرافيـة فليس للثـورة والوعي والخط حـدود قـوميـة او جغـرافيـة او وطنية .

وعليه فان علينا ان نحمل رسـالة هـذا الخط ، الى كل المسلمـين وكـل المستضعفـين ، ونعلمهم كيف يحـررون انفسهم ، وكيف يكسـرون الاغلال من ايـديهم وارجلهم ، وكيف يتخففـون عن الأمر ، الـذي يثقل كـاهلهم ، وكيف

ينتفضون ، ويقومون مثنى وفرادى لله في وجه الطاغوت ، وكيف يستعيدون شخصيتهم وكرامتهم واستقلالهم ومصادر الثروة الطبيعية في بلادهم وعلينا ان نكسر الحواجز السياسية والعسكرية ، التي تحجب صوت الثورة عن المستضعفين والمحرومين باي شكل ، وباي ثمن ، ومهما كان الثمن ، وان كان الثمن القتال .

فنحن لا نريد الحرب ، ولا نتمنى ان نعيش في حالة الحرب ، ولكننا لا نسمح لأحد ان يحول بيننا وبين اداء رسالتنا الى الناس ، فاذا اصطدمنا بحاجز ، وعجزنا ان نرفعه بالتي هي احسن ، لم نتردد لحظة واحدة ان نواجه الكيد بمثله ، والنار بالنار ، لنفتح الطريق ، ونقول كلمة الله تقال للناس .

* * * * *

قِيمَة الخَط
في حَيَاة النَاس

قلنا ان خط الامام لا يزيد على ان يكون تسمية جديدة ، في حياتنا السياسية المعاصرة ، والا فان مسألة الخط قديمة اسما ومحتوى .

فمن ناحية المحتوى ، يأتي خط الامام امتدادا لدعوة الانبياء عليهم السلام ، ورسالتهم ، وطريقتهم ، ودعوة ائمة المسلمين ، والمجاهدين والصديقين ، والعاملين ، على امتداد التاريخ . وخط الامام يشكل الامتداد الطبيعي ، لهذا الخط العريق العميق في التاريخ .

ومن ناحية الاسم ، فان القرآن الكريم يعبر عن الخط الرباني ، في حياة الانسان بـ « **الصراط المستقيم** »، ويعطي الاسلام لمسألة الصراط المستقيم ، في حياة الانسان ، اهمية فوق العادة .

ويكفي للتدليل على هذه الحقيقة ان نقول : ان الدعاء الوحيد ، الذي يجب على الانسان ان يكرره في اليوم عشر مرات في صلاته هو ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ ، ولا اعرف الان دعاء آخر ، يجب على الانسان ان يدعو به بصورة يومية رتيبة غير هذا الدعاء ، عدى الصلاة على محمد وآل محمد .

ويقارن القرآن الكريم بين اولئك الذين يعيشون على غير هدى وبصيرة ، في متاهات الحياة ، والذين يسيرون على هدى وبصيرة على الصراط المستقيم . فيقول : ﴿ **افمن يمشي مكبّا على وجهه اهدى ام من يمشي سويّاً على صراط مستقيم** ﴾[1] وواضح ان الذي يمشي مكبا على وجهه ، مطرقا برأسه الى الارض تكثر العثرات في سيره ، ولا يستطيع ان يعرف الطريق ، وهذه حالة العمى والاعراض والغفلة في الانسان . اما من يمشي بقامة سوية على الصراط المستقيم ، فلا يعثر ولا يتيه .

وفي سورة هود ﴿ **مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون** ﴾[2] .

---

(١) الملك .

(٢) هود ٢٤ .

وكيف يستوي الاعمى والاصم والبصير السميع ان الاول لا يكاد ان يميز شيئا مما حوله ، والثاني يكاد ان يمتلىء وعيا وبصيرة ، وفهما ، وادراكا لما حوله ، والاول هو الذي يعمل من غير هدى على غير صراط مستقيم والثاني هو الذي يسير هدى وبصيرة من دينه وعلى صراط مستقيم .

ليس من المهم ان يعمل الانسان فقط او يتحرك ، وانما المهم ان تكون حركته على الصراط المستقيم ، وان القليل من العمل ، على هدى ووعي وخط ، خير من كثير لا يستقيم على الصراط المستقيم .

ان هاجس العمل يكاد يتملك الكثير من العاملين ، وهو حق ، وصحيح ، ولكن مسألة تبني الخط ، والتأكد من ان الانسان يضع خطاه على الصراط المستقيم ، تأتي قبل العمل والحركة .

فما اكثر الاعمال والتحركات التي جرّت اصحابها الى عذاب الله ، واستدرجت القائمين بها الى اسفل درك من الجحيم .

سمع امير المؤمنين (ع) رجلا من الحرورية يتهجد ويقرأ فقال (ع) : « نوم على يقين خير من صلاة في شك » .

لـذا نجـد ان الاسـلام يعـطي هــذا الـدور الكبـير ، والقيمـة الفائقـة لمسـألـة (الصـراط المستقيم) حتى يـوجب الدعاء للاهتداء اليه ، وتكرار هذا الدعـاء مرات عـديدة في اليوم دون غيره من الادعية رغم اهميتها .

فقــد يعمـل الانســان ، ويعمــل بجــد ، وبحــرارة وحمـاس ، وبصـورة متـواصلة ، ولكن لا يـزيــده عمله الا بعدا عن الله تعالى ، وذلك انه يعمل بعكس الصراط .

فكلما يتحـرك اكثر يـزيـد بعـدا عن الله عـز وجـل . . وليس مثل « منظمـة مجاهـدي الشعب » عنا ببعيـد ، الذين قضـوا اشـطرا من حيـاتهم السيـاسيـة ، يحـاربـون الشـاه ، ويتحملون الـوان العـذاب والمـطاردات والسجـون من قبـل بـوليس الشــاه ، والسجــون ثم آل امــرهم الى ان حمـلوا السلاح بوجـه الثورة الاسـلامية ورجـالها وقـادتها ، وتحـولوا الى معول للهدم .

ولـذلـك ينبغي للعــاملين ان لا يغـرهـم عملهم ، وان يتـأكدوا في كـل لحظة انهم يضعـون خـطاهم عـلى الصـراط المستقيم ولا يخـرجوا عن صـراط الله ، الى متاهـات الهـوى والشيطان .

وكلما يكـون موقـع الانسـان العـامـل اكثر حسـاسيـة

وعمله اكبر ، يكون تعرضه للانزلاق واستهداف الشيطان اكثر ، وعليه ان يبذل جهداً اكثر في طلب البصيرة والوعي والفقه في الدين .

فقد كان الامام علي بن الحسين (ع) يطيل القعود بعد المغرب ويسأل الله اليقين ويقول ان الله تعالى لا يرزق احدا رزقا ، اجلّ من نعمة اليقين والبصيرة ، على ان نعم الله تعالى كلها جليلة .

وعن الوشا عن ابي الحسن عليه السلام : قال سمعته يقول الايمان فوق الاسلام بدرجة ، والتقوى فوق الايمان بدرجة ، واليقين فوق التقوى بدرجة ، وما قسم بين الناس شيء اقل من اليقين .

واليقين والبصيرة والوعي كل ذلك يتعلق بخط تحرك الانسان ، قبل اي شيء آخر .

ولهذا كله ، تأتي قيمة اليقين بالخط ، والوعي والبصيرة ، والفقه من حياة المؤمنين العاملين ، في الدرجة الاولى من قضايانا ، وتأتي المسائل الاخرى بعد ذلك .

الارتباط العاطفي
والواعي بخط الإمام

ان مسألة الارتباط ، والانشداد الى الخط والصراط المستقيم ، مسألة في غاية الاهمية فان شخصية الامة ، وسلامتها ، واستقامتها ، وصلابة مواقفها كل ذلك مرتبط بالتزامها بصراط الله المستقيم ، فلا بد اذن من الاهتمام بتعميق الصلة بين الامة والخط « الصراط المستقيم » .

والارتباط بالخط ، يكون على شكلين الارتباط العاطفي والارتباط الواعي العقلاني .

وكلاهما مهمان ، في اعداد وتربية الانسان المؤمن .

الارتباط العاطفي

الارتباط العاطفي ، هو انشداد المؤمن الى الصراط

المستقيم ، من خلال الاجواء العاطفية ، التي تشده الى خط الانبياء ، والائمة عليهم السلام ، وصراط الصالحين من عباد الله ، والمجاهدين العاملين .

وهذه الاجواء لا شك انها ذات آثار ايجابية ، في بناء شخصية الانسان المؤمن والتحاقه بالخط .

ان الاحتفالات بمناسبات اهل البيت عليهم السلام والمناسبات الاسلامية التي تخص شخصيات اسلامية ، من العوامل الايجابية المفيدة ، في انشداد الانسان المؤمن بهذه القافلة المباركة ، من العاملين في سبيل الله السائرين على صراط الله المستقيم .

وكذلك زيارات مراقد اهل البيت عليهم السلام والانبياء ، والاولياء ، والعلماء ، والمجاهدين ، من العوامل المهمة في الانشداد الى هذا الخط ، والصراط العميق في التاريخ ، الذي ينتظم عليه كل خطى العاملين المخلصين ، والاتقياء الابرار .

وفي مقدمة هذه العوامل ، اقامة مجالس عزاء الحسين عليه السلام فان هذه المجالس وما يجري فيها من ذكر مأساة الطف على الطريقة الشعبية المألوفة ذات تأثير كبير في انشداد المؤمنين ، الى طريق الحسين وصراطه وخطه ،

وقلما نجد عاملا تربويا آخر ، يعوض عن هذا العامل ويحل محله .

ونحن العاملون مدينون بالكثير ، لهذه المجالس من سلامة امتنا وسلامة خطنا ، خلال هذه الفترة الصعبة ، التي غزتنا فيها الحضارة الغربية ، واقتحمت بيوتنا ، ومدارسنا ودوائر اعمالنا ، واجتماعاتنا . فكانت مجالس الحسين عليه السلام هي احدى اهم واقوى الحصون ، التي حصنت الامة وخطها خلال هذه الفترة ، من غزو الحضارة الغربية ، عندما تهاوى امام هذا الغزو الكثير من المعاقل والحصون .

فهذه الاجواء الاسلامية ، الاحتفالات ، والزيارات ، ومجالس العزاء ، وقراءة النصوص الواردة في الزيارة وكذلك زيارة العلماء والمجاهدين الاحباء والاحتفاء بهم وهكذا المسيرات والتظاهرات . . . كل ذلك عوامل ايجابية فعالة ذات تأثير عاطفي كبير في التحام الانسان المؤمن بخطه وصراطه المستقيم وسلفه الصالح ، وتحسيسه انه عضو في هذه الاسرة المباركة ـ اسرة الانبياء والمرسلين والائمة وعباد الله الصالحين ، وانه خلف لذلك السلف الصالح وامتداد لهم ، يجري على خطهم ، ويسعى على

هداهم ، وعليه ان يسعى لحماية هذا الخط وسلامته ، والّا ينحرف عن طريقهم وصراطهم ، وان يضع خطاه حيث كان يضع اولئك خطاهم ، على الصراط المستقيم ، ويحافظ على ارتباطه بهم ، ويسعى ان يكون امتدادا لهم .

ان السلفية المتطرفة في افضل الحالات ، واذا احسنا الظن بها ، لم تدرك قيمة وحقيقة ومغزى هذه الاجواء العاطفية ، وتأثيرها النفسي الكبير ، في انشداد الانسان المسلم برسالته وسلفه واسرته الكبيرة .

على اننا نجد ما يبرر لنا سوء الظن ببعض رجال هذا المذهب في مكافحة هذه الاجواء الاسلامية الغنية والمباركة ، ومحاربة زيارة المراقد ، واقامة الاحتفالات والمسيرات ، بحجة انها بدعة !! . . ولا نستبعد ان يكون الهدف من ذلك كله قطع صلة الامة ، بابعادها وجذورها التاريخية ، وقطع هذه الجذور ، وبتر هذه الارتباطات والصلات ، لتتحول هذه الامة الكبيرة ، ذات الجذور العميقة المباركة في التاريخ ، الى امة مبتورة الجذور ، مجتثة من فوق الارض . . .

قانون علاقة العمل بالايمان

وهناك حقل خصب آخر ، من حقول الارتباط

العاطفي بالخط ، وهو حقل العمل والتضحية . فان عمل الانسان وجهاده وتضحيته في سبيل الله ، وعلى الصراط المستقيم ، يتحول بصورة مباشرة الى ايمان بالخط ، ووعي وبصيرة ويقين وثبات .

وكلما يزداد عمل الانسان وتحركه على الخط وترتفع درجة تضحيته وتعبه على هذا الصراط ، يزداد انشداداً والتحاماً بالخط ، وحباً له ، ويقينا به فتتحول الحركة الى عاطفة حب ، ويقين في العقل ، وثبات في العمل .

ونحن نجد لهذا القانون نظائر كثيرة في حياة الانسان ، فالأم كلما تبذل جهدا اكثر في تربية ابنائها ، تزداد الأم حبا لهم ، وليس اختلاف درجة عاطفة الأم تجاه ابنها ، من يوم ميلاده الى يوم يشب سويا ، الا نتيجة ارتفاع درجة البذل والعطاء والتضحية من الأم ، فتتحول جهود الأم وتضحيتها الى حب وعاطفة وتعلق باولادها ، يزداد بصورة مطردة .

وهذا القانون يجري بصورة اعمق ، في صلة الانسان بالخط ، فكلما يزداد عمله وجهاده وتحركه وتضحيته ، للدفاع عن الخط ، يزداد ايمانا به وبصيرة وهدى ويزداد تعلقا به ، وثباتا عليه فيتحول هذا الجهد الى عاطفة ويقين

وثبات .

وهذه المعادلة القائمة ، بين العمل والايمان ، من اكثر المعادلات تأثيرا في حياتنا اليومية .

ونحن نجد اليوم ، في ساحة الثورة الاسلامية ، شاهدا حيا على هذه الحقيقة . فقد استطاعت الثورة ان تنجب وتربي ، خلال هذه الفترة القصيرة من عمرها ، جيلا من الشباب المراهقين والشابات المراهقات ، من المؤمنين والمؤمنات ، والمخلصين والمخلصات ، والطائعين لله والطائعات ، ممن رزقهم الله هدى وبصيرة وتقوى واخلاصا ، يندر وجودهم في الاجيال السابقة .

وليس من شك ، ان الثورة الاسلامية ، لم تكن تملك القدرة التربوية الكافية لاعداد هذا الجيل ، بهذا المستوى الروحي والعقلي والايماني الرفيع .

فأين نشأ هؤلاء اذن ؟ ومن الذي رباهم ؟ وفي اية مدرسة تخرجوا ؟ وعلى يد من نشأوا ؟ وكيف قطعوا هذه المراحل والاشواط البعيدة ، خلال هذه الفترة القصيرة ؟ وفي هذا السن المبكر ؟

تلك اسئلة يقف امامها الجيل الهابط ، الذي لم يألف هذه القفزات الايمانية الكبرى في حياة الانسان حائرا .

والجواب : ان المواجهة الحادة ، لقوى الاستكبار العالمي ، وامتداداته في المنطقة ، والمنافقين واعداء الثورة . . المواجهة لهؤلاء جميعا ، والعمل والتضحية الحقيقية ، التي قام بأعبائها هذا الجيل الصاعد المبارك ، خلال هذه الفترة ، بدموعه ، ودمائه ، وعرقه ، وجهده ، وسهره ، هو الذي رفعه الى هذا المستوى الرفيع ، من الايمان والوعي والاخلاص والثبات ، وهو الذي شدهم بهذه الصورة المحكمة المصيرية بخط الامام ، وربط مصيرهم بمصير الثورة الاسلامية .

الارتباط الواعي

والى جانب الارتباط العاطفي بالخط ، هناك نوع آخر من الارتباط ، وهو الارتباط الواعي بالخط . ويتلخص في فهم الخط وادراكه بصورة واعية وعقلانية .

وهذا اللون من الارتباط يحتاج الى عمل فكري تثقيفي ، وجهد علمي ، من قبل الدعاة العاملين في سبيل الله ، لتقديم خط الثورة الاسلامية بصورة علمية ومقبولة . الى جيل الثورة ، وكذلك العمل لأسقاط واحباط الخطوط الفكرية والسياسية الاخرى ضمن جهود علمية .

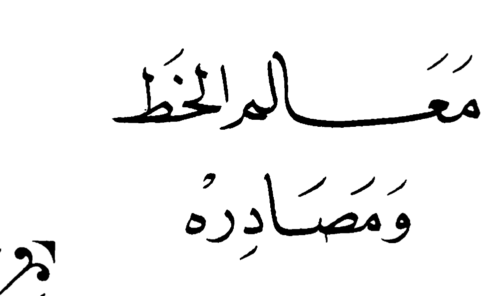
وعلى العاملين في سبيل الله ، ان يستفيدوا من كل الفرص ، لتقديم هذا الغذاء العقلي إلى جيل الثورة ، الذي تناط به مهمة المحافظة على خط الثورة الاسلامية وسلامتها ونقاوتها ، وذلك كفرص المحاضرات والدروس والخطب والمجالس الحسينية ومنابر الوعظ والارشاد ، واستغلال اجهزة الاعلام بصورة واسعة لهذا الغرض .

على اننا نحب ان نقول ، ليست الدراسة والعلم هو كل شيء ، في تحصيل البصيرة واليقين . وان التقوى باب واسع ، من ابواب اليقين والمعرفة في حياة الانسان ، والانسان الذي يتقي الله تعالى ، ويضبط رغباته واهواءه ، في حدود الله ، ويحدد تصرفاته ، بحدود الله (الحلال والحرام) يرزقه الله تعالى بصيرة وهدى ويقينا ويثبته على الحق يقول تعالى ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾ .

يقول امير المؤمنين عليه السلام (واعلموا انه من يتق الله يجعل له مخرجا من الفتن ونورا من الظلم) .

وهذا قانون آخر في علاقة التقوى باليقين والايمان ، يحتاج الى دراسة اوسع في غير هذا المجال .

* * *


مَعَالم الخَط
وَمَصَادِره

معالم الخط

ولا بـد لكـل خط وطـريق من معـالم يهتـدي بهـا السـائرون ، ومن دون وجـود معالم عـلى الـطريق لا يهتـدي الانسان الى شيء .

فما هي المعالم على الخط (الصراط المستقيم) ؟

ان القـرآن يـوضـح هـذه المعـالم ، بـايجـاز ، في سـورة الفاتحة ، وبعـد الدعـاء بـ (اهدنـا الصراط المستقيم) يـأتي مباشرة ايضاح معالم هذا الصراط ، وعـلاماتـه وادلته بقـوله تعـالى : ﴿ **صـراط الـذين انعمت عليهم غـير المغضـوب عليهم ولا الضالين** ﴾ فان العلامـة المميزة ، التي تهـدي الى الصـراط المستقيم ، هـو السـائـرون عـلى هـذا الصـراط ،

والسـالكون لـه . فاذا اختلط السبل عليـك ، فاتبـع خطى الـذين انعم الله عليه من الانبيـاء ، والمرسلين ، والائمـة ، والفقهاء ، والمجاهدين ، وغيرهم من عباد الله الصالحين .

وعـلامـة هـذا الصـراط ، ان تجـد عليـه هـذه النخبـة الصالحة من عبـاد الله ، وان خير مـا تطمئن بـه النفوس ان يجد الانسان على هذا الصراط امثال ابـراهيم ونوح ومـوسى وعيسى ورسـول الله محمـد صـلى الله عليـه وآلـه وعليهم ، فتستقـر نفس الانسـان وتـطمئن ، ويثق بسـلامـة الخط والصراط .

ويضـع الانسان عـلى كـل طـريق ، يسلكـه المغضـوب عليهم والضـالون ، عـلامة استفهـام وانكار ويـأخذ حـذره منه .

وخلاصة الحديث ان خير علامة ومعلم للصـراط ، هو سـالكـه والعـامـل عليـه . . واذا التبست الخـطوط عـلى الانسـان ، فلا يلتبس عليـه النـاس ، ولا يصعب عليـه ان يميـز دين ابـراهيم عليـه السـلام ونمـرود ، ومـوسى عليـه السلام وفرعـون وجلاوزته ، وعيسى عليه السـلام واعدائـه من بني اسـرائيـل ، ورسـول الله (ص) وطغـاة عصـره ، والامـام الخميني اليوم واعـدائه ومنـاوئيه ، ولا يصعب عـلى

الانسان ان يميز بين من يعمل لله ومن يعمل لهواه ، ومن يتبع هدى الله تعالى ، ومن ـ تملكه اهواؤه وشهواته ـ .

مصادر الخط ....

ولا بد ان نقول كلمة اخيرة ، في نهاية هذه الجولة السريعة عن خط الامام عن مصادر الخط ، ولا نشك ان معرفة المعالم وحدها ، لا تكفي في الاستقامة على الصراط المستقيم ، ولا بد بالاضافة الى معرفة المعالم معرفة مصادر الخط .

فاذا عرف الانسان مصادر الخط ، فلا يمكن ان يأخذ الخط من غير نبعه ، مهما طال به الامد . ان اكثر الانحراف ، في تاريخ الاسلام عن الصراط المستقيم ، ينبع من الجهل بمصادر الخط ، فان الانسان عندما يجهل المصادر الشرعية للدعوة والخط ، يأخذه من يد اي انسان يعرضه عليه .

ولا شك ان رسول الله (ص) كان في حياته ، هو المصدر والملجأ والملاذ الذي يلوذ المسلمون ، لمعرفة المستقيم من المعوج ، والهدى من الضلال ، ولا نشك ان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يترك مثل هذه المسألة

الهامة الحياتية في حياة المسلمين من غير ايضاح ، وهو يعلم بما يحل بهذه الامة ، من اختلاف كبير وواسع ، في الخط والطريق والصراط .

وعندما نرجع نحن الى حديث رسول الله (ص) نجد ان رسول الله (ص) يحدد مصادر الخط بصورة واضحة ، في اكثر من موقع في حياته المباركة ، ولا سيما في اخريات ايامه ، حيث كان يكرر صلى الله عليه وآله (اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي)[1] .

فعلينا اذن ان نطبق مفردات الخط واجزاءه دائما بهذين المصدرين : كتاب الله وحديث اهل البيت ، لنعرف بهما سلامة الخط واستقامته . وعلينا ايضاً ان نتوفر على دراسة كتاب الله وحديث اهل البيت ، عليهم السلام ، لنستوحي منهما اصول العمل الصالح ، واصول الخط

---

(١) يروي هذا الحديث بالفاظ متقاربه أئمة الحديث من السنة والشيعة . وبامكان القارىء ان يجد مصادر الحديث في الكتب الموضوعة لهذا الغرض كالغدير والمراجعات والعقبات وغير ذلك من المصادر .

والتحـرك ، ففي كلام الله وحـديث اهل البيت نـور وهدى وسلامة واستقامة وبصيرة .

